العنف والإرهاب في عالمنا المعاصر
الأسباب والمعالجات

د/ رضوان أحمد شمسان الشيباني *

المقدمة :

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه وصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه . وبعد:ـ

فإن العنف يُعد إحدى الظواهر الإنسانية السيئة. فقد بدأ فردياً بمقتل (هابيل) بن آدم عليه السلام ثم تطور لتمارسه جماعات مختلفة ، وبتطور الجماعة إلى دولة أصبحت تمارسه دول لإرهاب خصومها وقمع معارضيها حتى ولو لم يشكلوا خطراً حقيقياً عليها ، وسواء أكان الذي يمارس العنف دولة أو جماعة فإن الدافع الأساسي لهذه الممارسة يبدأ فكراً ثم يتحول ـ بمساعدة بعض العوامل ـ إلى عنف مع مرور الزمن وبتتبع أحداث العنف عبر التاريخ نجد أن وراء كل حادث عنف فكر متطرف وقد يكون هذا الفكر دينياً أو لا علاقة له بالدين حيث يصر معتنقوه على ما ذهبوا إليه وأنهم وحدهم هم أصحاب الحق المطلق ، وأن غيرهم على باطل محض.

فقد أقدم" ذو النواس الحميري" على إحراق أصحاب الأخدود (النصارى) في اليمن لأنهم رفضوا الدخول في دينه (اليهودية) ، الأمر الذي أدى إلى احتلال اليمن من قبل الأحباش المسيحيين نصرةً لإخوانهم . وقد ذُكرت هذه الحادثة في القرآن الكريم حيث قال تعالى:

[وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8)][1].

وارتكب المسيحيون الأحباش بقيادة أبرهه الخطأ نفسه حين قرروا فرض دينهم على عرب الجزيرة ، وحركوا جيشاً لهدم الكعبة التي يعظمها العرب .وقد ذُكرت هذه الحادثة -أيضاً- في القرآن الكريم حيث قال تعالى[**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**][2].

وبالفكر نفسه قامت الحروب الصليبية التي راح ضحيتها مئات الآلاف . وكذا ظهرت محاكم التفتيش

---

*) أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد -جامعة الحديدة

في أسبانيا التي أدت إلى قتل وتشريد وطرد المسلمين واليهود معاً من أسبانيا[3]

ولم يجد بعدها اليهود ملاذاً آمناً سوى الدولة الإسلامية العثمانية . وكذا ما فعله من قبل قيصر الروم (قسطنطين) بعد مجمع (نيقيه) الذي عقد عام 325م [4] حيث فرض عقيدته على الأقباط المصريين والفلسطينيين والبابليين ومقدونيا و الأمثلة كثيرة لا مجال لحصرها الآن .

وفي التاريخ الحديث عانت الإنسانية كلها من حربين عالميتين قامت الأولى (1914ـ1918م) والثانية (1939ـ 1945م) راح ضحيتها الملايين من البشر، واستعمل العنف على نطاق واسع تجاوز كل القيم والمبادئ ، والأعراف فقد استعملت الولايات المتحدة العنف بأبشع صوره حين ألقت على اليابان قنبلتين نوويتين حصدت أرواحاً كثيرة ولا يزال العنف حتى اليوم يُمارس من قبل الأقوياء ضد الضعفاء ، ولأسباب عديدة تختفي غالباً تحت ذرائع واهية لا تقنع أحداً حتى الذين يمارسون العنف بموجبها.

وإذا كان هذا هو العنف الذي تمارسه الدولة . فإن الجماعات المختلفة الاتجاهات والأفكار تمارس العنف أيضاً – بدوافع مختلفة لا تخلو من أن يكون الفكر المتطرف إحداها . فقديماً ظهرت قبل الميلاد حركة (الورعاء) اليهودية[5].

وظهر في التاريخ الإسلامي القديم (الخوارج)[6] و(القرامطة)[7] وغيرهم .

وفي العصر الحديث ظهرت أحزاب لاعلاقة لها بالدين وإنما اعتنقت أفكاراً (أيديولوجيات)[8] وراحت تناضل من أجلها كالشيوعية في بعض البلدان خارج المنظومة الاشتراكية ، وكمنظمة (بادر مايهوف) التي ظهرت في ألمانيا[9] ، ومنظمة (إيتا) الانفصالية التي تطالب باستقلال إقليم الباسك الأسباني ، وكذا منظمة (الألوية الحمراء)[10] في ايطاليا، وفي الهند ظهر حزب (بهاراتيا جاناتا) الهندوسي المتطرف ليمارس العنف على نطاق واسع ضد جميع المخالفين له[11].

وتعتبر إسرائيل دولة العنف الأولى في العالم ، والمثال الأكثر وضوحاً لدولة العنف وجماعاته فهي تمارس العنف ضد االفلسطينين منذ أكثر من سبعين عاماً على مرآى ومسمع من العالم حيث بدأت بعصابات (الهاجانا) 1947م[12] ثم تطورت إلى دولة ، وهي ترعى عدداً من الجماعات المتطرفة من أبرزها حركة (كاخ) و(أكيل) و (أرقون) وغيرها .

وإذا كان الفكر المتطرف سواءً كان دينياً أو غير ديني هو العامل الرئيس للعنف فإن عوامل أخرى تظهر وراء العنف لا يمكن إغفالها أو التقليل من تأثيرها كالاستبداد السياسي والقمع الذي تمارسه بعض الدول،

وكذا الفساد الاقتصادي والأخلاقي الذي ينخر في المجتمعات التي يسودها الظلم ، كما أسهم ضعف المرجعية الدينية في بعض البلاد الإسلامية في ظهور اجتهادات وفتاوى ساهمت في تاجيج العنف.

ونظراً لخطورة هذه المشكلة فقد سعت كثير من الدول لمحاربة العنف الذي تحول إلى ظاهرة عالمية ، وانتهجت طرقاً ووسائل كثيرة منها العزل السياسي والفكري لبعض الجماعات المعارضة بل لجأت عند أول حادثة إلى الحل الأمني (الاستئصالي) مباشرة دون النظر في أسباب ودوافع العنف. وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها هذه الدول للقضاء على هذه الظاهرة إلا أن النتائج جاءت عكسية، حيث استفحل أمر هذه الظاهرة ، بل لقيت قبولاً شعبياً تعاطفياً بسبب تلك المعالجات .

ومن وجهة نظري -أن كل المعالجات قد ركزت على جانب من الجوانب وأغفلت الجوانب الأخرى ، كما أن أغلب هذه المعالجات كانت في حقيقتها ردة فعل لنتائج أفعال العنف الظاهرة دون التعرض لأسبابه الحقيقية.

ويقتضي منهج البحث عند دراسة أي ظاهرة أو مشكلة النظر في الظروف المحيطة بها ووضعها في إطارها الصحيح. فعزل قضية أو مشكلة عن ظروفها يجعل تلك الدراسة قاصرة الأمر الذي ينتهي بها إلى استخلاص نتائج خاطئة لا تخدم المعالجات المطلوبة بل ربما أدت إلى نتائج عكسية لا تحمد عقباها .

والعنف كظاهرة معقدة لا يمكن تشخيصها بعامل واحد دون النظر في بقية العوامل، ويجب ملاحظة أن هذه العوامل على أهميتها ليست على قدر واحد من التأثير. وتبعاً لذلك تختلف مستويات العنف من دولة إلى أخرى، بل وتختلف صوره تبعاً لغلبة تأثير أحد العوامل على غيرها.

لذا سأتناول هذه المشكلة بالبحث من جوانب عديدة نرى أنها تمثل أسباباً لها، على أمل الوصول إلى نتائج نعتقد أنها ستسهم إلى حد كبير -في إيجاد معالجة عادلة لهذه المشكلة إذا تم الأخذ بها.

ونظراً لأهمية المصطلحات في تحديد المفاهيم تجاه ظاهرة ما فإننا قبل الحديث عن العنف والإرهاب لا بد من التعرض لتعريف المصطلحات المرتبطة بهذه الظاهرةُ كالغلو ، والتطرف خاصة في ظل الاستخدام النفعي السيئ لهذه المصطلحات من قبل بعض الأطراف ، حيث أخرجها البعض عما وضعت له . الأمر الذي أوجد ازدواجية واضحة في معايير التعامل مع المصطلح حيث أختلف معناه من بلد إلى آخر .

المبحث الأول: تحديد المصطلحات:

الغلو: من (غَلاء) السعر وغيره غُلُوّاً ، و غَلاء : زاد وارتفع وجَاوَزَ حَدَّهُ فهو غال وغَلاء فلان في الأمر ، وفي الدين تشدد فيه وجاوز الحد وأفرط فهو غال[13] وفي القرآن الكريم [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ][14].

والملاحظ: أن الغلو كمصطلح غير منضبط فهو تجاوز لحد الاعتدال (الوسط)، وقد يكون قليلاً، وقد يكون كثيراً

وأما التطرف فهو الوصول بالغلو إلى منتهاه، ولذا ليس كل غلو تطرف ولكن كل تطرف غلو.

التطرف: من (تطرّفَ) أتى الطَرفْ، ويُقالُ تطرّفت الشّمس، دنتْ للغروب، ومنه تنحي وتجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط ، وجمعه أطراف وطرف الشيء منتهاه والطرفُ أحد المتعاقدين[15].

العنف في لسان العرب: العُنْف: الـخُرْقُ بالأَمر وقلَّة الرِّفْق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ بـه وعلـيه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافة وأَعْنَفه وعَنَّفه تَعْنِـيفاً، وهو عَنِـيفٌ إِذا لـم يكن رَفـيقاً فـي أَمره...وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[16].

وهو بالضم، الشدة والـمَشَقَّة، ويقال هو عنفوان شبابه : في نشاطه وحدته[17] ، وإذا كانت المصطلحات السابقة (الغلو ، التطرف، العنف) قد تحددت وفقاً لتعريفها اللغوي ولم يثر الجدل حولها ، فإن الخلاف حول مصطلح الإرهاب، لم يحسم بعد ، على الرغم من الإتفاق حول المفهوم اللغوي .

فالإرهاب لغة : رهب: رَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً، بالضم، ورَهَباً، بالتحريك، أَي خافَ. ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً: خافَه. ورهَبَ الرَاهِب : انقطع للعبادة في صومعته[18] .

وقد ورد في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة: ـ

1ـ الخوف والرعب : قال تعالى :" قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ "[19] .

2ـ الخشية : قال تعالى : " وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ "[20] .

3ـ التخويف : قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ "[21].

فمن البديهي أن العدو إذا وجد ضعفاً هجم ولذا كانت القوة تحذيراً للعدو من مغبة الاعتداء وردعه والإسلام يأمر أتباعه بإعداد القوة ، ولكن لم يأمر بالاعتداء .

قال تعالى : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "[22].

ومع ظهور ووضوح المعنى اللغوي إلا أن تعريفات مختلفة قد ظهرت لمصطلح الإرهاب:

1. فقد عرفته الموسوعة الأكاديمية الأمريكية: " هو الاستعمال المصحوب لأعمال العنف أو التهديد بها بما فيها من خطف وتفجيرات لتخويف الناس وإخضاعهم، وعادة مايكون بغرض تحقيق أهداف سياسية معينة.."[23]

2. وعرفته الموسوعة العربية الأكاديمية: " بأنه "استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر، ويعمل الإرهابيون على قتل الناس واختطافهم، كما يكون بتفجير القنابل واختطاف الطائرات وإشعال النيران وارتكاب غير ذلك من الجرائم الخطيرة. كما أن معظم الإرهابيين يرتكبون جرائم لدعم أهداف سياسية معينة "[24].

وبملاحظة التعريفيين السابقين يظهر بوضوح:

أ- عدم الإشارة إلى إرهاب الدولة .

ب- قصر أهداف الإرهاب على الجانب السياسي[25] .

والتعريفان السابقان لا يعبران عن حقيقة المصطلح ، فمن شروط أي تعريف أن يكون جامعاً مانعاً ، ولم تتحق هذه الشروط في التعريفين السابقين، ولذا لا بد من البحث عن تعريف آخر .

3. عرفته الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب " الإرهاب: كل فعل من أفعال العنف والتهديد لتنفيذ مشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر "[26]. وهذا التعريف تحاشي الإشارة إلى إرهاب الدولة -أيضاً - .

4. وعرفه مجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة بأنه " العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان : دينه أو عرضه أو ماله أو دمه بغير حق ، وما يتصل بصورة الحرابة وإخافة السبل ، وقطع الطريق ، وكل أفعال العنف أو التهديد لتنفيذ مشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تعريضهم للخطر ".ويدو هذا التعريف أقرب إلى مفهوم المصطلح حيث تميز بما يلي :

أ- بالعموم.

ب- تضمن الإشارة إلى إرهاب الدولة التي تحاشته التعريفات السابقة .

ج- وضع مقاييس أخلاقية تميز بين الإرهاب والمقاومة .

ومع ذلك لا يزال الخلاف محتدماً بين الدول حول المصطلح وبالتحديد حول هدف الإرهاب.

يقول الكيلاني في كتابه عن الإرهاب : "... وهو مصطلح أوجدته واستعملته دول الاستعمار والاحتلال، والعنصرية والقهر في وصف المقاومين لسياساتها، كما استعملته أنظمة الحكم الدكتاتورية لتجريح خصومها والنيل من سمعتهم[27].

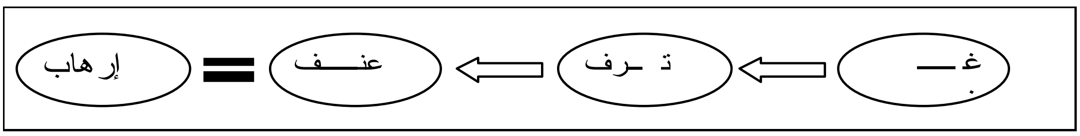
وهذا القول ينطبق على حال الاحتلال الأمريكي و الإسرائيلي في وصفهم للمقاومين في العراق وفلسطين ، كما ينطبق على الاحتلال الروسي في وصف المقاومة الشيشانية. وهكذا لو تتبعنا هذا المصطلح في وسائل الإعلام العالمية ، وبعض وسائل الإعلام العربية لوجدنا أنه قد أصبح لصيقاً بالمقاومين المسلمين دفاعاً عن بلدانهم المحتلة من قبل دول الاستعمار .فالإرهاب عندهم (الإرهاب ما يفعله خصومنا)[28]

لذا فقد أفشلت الدول الاستعمارية كل محاولة في الأمم المتحدة لوضع تعريف جامع مانع تتحقق فيه العداله لمفهوم كلمة إرهاب حيث رفضت – ولا تزال – الفصل بين المقاومة للاحتلال ، والإرهاب فيما تصر الدول الضعيفة والمحتلة على الفصل بين المصطلحين .

وأشار بعض الزعماء[29] إلى ضرورة مساعدة الدول الفقيرة في التخلص من الفقر لأنه مصدر من مصادر الإرهاب، ولم يذكر الاحتلال والاستبداد كأسباب للإرهاب.

ومن الواضح أن الموافقة على مشروع منع التحريض على الإرهاب يشكل ذريعة جديدة لاستعمالها لتكميم أفواه من ينتقد مشاريع التدخل الاستعماري.

ومما سبق يتبين الارتباط الوثيق بين المصطلحات السابقة ، حيث شكل الغلو الفكري أولى الحلقات في سلسلة المصطلحات السابقة ليقود إلى التطرف وبمساعدة عوامل معينة يتحول إلي عنف ينتج عنه إرهاب والشكل الآتي يمثل هذه السلسلة :



والغلو الفكري أو التطرف قد يظل في حالة كمون ثم يظهر على شكل عنف حال توفر عوامل معينة فينتج عنه إرهاب.

المبحث الثاني: عوامل ظهور العنف والإرهاب:

أولاً: التطرف الفكري:

يُعَدُّ التطرف الفكري[30] من أهم العوامل التي تدفع إلى العنف ولأهمية هذا الدافع فإننا نعتبره عاملاً أساسياً في تفشي العنف والإرهاب. فالمنظمات الإرهابية اليهودية قد بذرت بذورها الفكرية المتطرفة لدى اليهود حتى أصبحت جزءاً من التفكير والسلوك اليهودي، وظهر ذلك في كتاب(هرتزل)[31] عام 1896م (دولةاليهود) الذي يستند إلى:

1. الحق المطلق لليهود والصهاينة في أرض فلسطين دون العرب.
2. الإيمان بالقوة إيماناً مطلقاً وتنشئة الأجيال عليها لتصبح قسماً من تكوينهم.
3. تبرير اللجوء إلى أي وسيلة مهما كانت لتحقيق الأهداف، حيث يصبح القتل والاغتيال والتدمير، وغيرها من وسائل الإرهاب جزءاً من الحياة اليومية.
4. اعتماد قانون أعلى بالنسبة إليهم يضع اليهود الصهاينة في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أدنى منها.
5. وضع إسرائيل لبرنامج تربوي يهدف إلى تقوية الإرهاب في نفوس الشبيبة الإسرائيلية، ويهدف هذا البرنامج التربوي إلى تنشيط الذاكرة اليهودية بما حدث لآبائهم وأجدادهم في الشتات لتظل الروح اليهودية في حالة استنفار دائم ضد الغير وحماية " الدولة "بكل الوسائل، بما في ذلك الوسائل الإرهابية[32].

إن أهم مايُدَّرس في المدارس الإسرائيلية في منهجها الديني يؤكد على عقيدة شعب الله المختار، وأدب المقاومة وأدب الجيتو، ولا يخفى على أحد الدورَ الذي لعبه الأدب الصهيوني في تكوين وتنمية الشخصية الإسرائيلية، ولا تزال المدارس الدينية هي مصدر رفد مؤسسات الدولة بالمتطرفين والإرهابيين، ففتاوى الحاخامات ومحاضرات الكتاب والمفكرين والأكاديميين، والإعلام الموجه للكيان الصهيوني، كل ذلك قام بالدور الأكبر في توجيه المجتمع إلى اعتناق الفكر الإرهابي وممارسته[33] واستناداً إلى تلك الأفكار المتطرفة قامت إسرائيل منذ بدايتها على العنف والإرهاب، وارتكبت أفظع الجرائم ضد الإنسانية تحت مظلة الاستبداد الدولي

التي تمثلها أمريكا والدول الاستعمارية ، بل وبدعم منها. ولا يزال العالم يتذكر مجازر (دير ياسين) والمذابح الجماعية في (صبرا وشاتيلا) و(قانا) و(جنين) وما تمارسه إسرائيل اليوم من الجرائم ضد الشعب الفلسطيني باسم مكافحة الإرهاب أكبر شاهد على إرهاب الدولة . ولتأكيد أهمية الدافع الفكري (الأيديولوجي) لا بد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كنموذج للاستبداد العالمي ، والذي تنامي منذ السبعينات من القرن الماضي ـ إنما يتكئ على فكر متطرف يعتبر العنف منهجاً له .

ففي بداية القرن العشرين ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية حركات دينية أصولية تعتنق أفكاراً متطرفة كانت نتيجة لاختراق الفكر الصهيوني اليهودي للديانة المسيحية وعلى وجه الخصوص المذهب البروتستانتي وقد عرفت هذه الحركة (بالمسيحيين الجدد)[34] أو (الإنجيليين) وهي حركة بروتستانتية أمريكية متشددة ظهرت في القرن التاسع عشر[35] .

جاء في الموسوعة الأمريكية :" ... وفي الطور الأخير للأصولية نشأت حركة صغيرة بين الطوائف المسيحية بعيدة عن الكنيسة عام 1930م ، ثم عام 1941م تأسس مجلس الكنائس المسيحي الأمريكي ، ثم بعد ذلك بأعوام قليلة تأسست الجمعية الوطنية الإنجليكية وجميع أعضائها يدعون اليوم بـ (الأصوليون الجدد) ، وهي حركات تؤكد على أهمية التبشير المسيحي والتقيد بحرفية النصوص وتعتبر هذه المنظمات الداعم الأكبر في الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ، وترسخ بكل قوة لدى رعاياها منذ صغرهم على تصديق نبوءات العهد القديم ، وأن اليهود هم شعب الله المختار وأن فلسطين كانت أرضاً بلا شعب حتى وصل العبرانيون إليها "[36] .

تقول جريس هالسيل : وهي أحد الذين قد تربوا على نبوءات العهد القديم - :" تعلمنا تصديق مؤلفي العهد القديم الذين أعلنوا أنفسهم وقبيلتهم على أنهم شعب الله (المختار) وخلال طفولتي لم أكن أتصور أن هذا الاعتقاد يمكنه أن يؤدي إلى اقتلاع غير اليهود وإلى إثارة الحروب "[37] .

وتقول أيضاً :" معظم المدارس الإنجيلية في الولايات المتحدة تدرس النظام الديني ونظرية هرمجدون ..."[38]. ويظهر جلياً الجهد البشري في العهد القديم مما يؤكد تحريفه .

وقد تغلغلت أفكار هذه الجماعات داخل المجتمع الأمريكي ، وأصبحت جزءاً من ثقافته المؤثرة وحظيت بدعم وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود الصهاينة ، وأوجدت العديد من المنابر التي تروج لفكرها .

وقد تمكنت هذه المنظمات على مدى سنوات من الدفع بعدد من أتباعها إلى سدة الرئاسة[39] ومعظم

مواقع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي ميز السياسة الأمريكية الحالية بالعنف وقادها إلى التورط للتدخل العسكري المباشر في العراق وأفغانستان ، والتدخل غير المباشر عن طريق المخابرات المركزية في بلدان مثل فنزويلا[40]– ومن قبل في تشيلي ، حيث موَلت الولايات المتحدة انقلاباً بقيادة الجنرال" بنوشيه " ضد الرئيس المنتخب "سلفادور" الندي أدت إلى قتل الرئيس ، وقيام نظام عسكري[41]، والملاحظ أن أفكار الحركة الإنجيلية التي تعرضت لاختراق صهيوني تطابق إلى حد بعيد تلك الأفكار التي قامت عليها دولة إسرائيل ، والتي تقوم على نظرية الاستعلاء والعداء للآخرين ، وقداسة العنصر اليهودي .

تقول هالسل :" لقد تعلمت من معلمين مثل (فولويل) أن القوانين الوضعية لا تطبق على إسرائيل، لقد تعلمت أنه من بين كل شعوب الأرض فإن الإسرائيليين وحدهم لا يمكن تطبيق القوانين التي يشترعها الإنسان عليهم ، ولكن تطبق عليهم فقط قوانين الله "[42].

ولا تختلف هذه الأفكار عن الفكر النازي والذي بدأ تطوره منذ (الرايخ)الأول ، واكتمل في العهد "الرايخ "الثالث ليجر العالم إلى أبشع حرب ، وهي الحرب العالمية الثانية ، وقد جسد تلك الأفكار التي تقوم على العنصرية والاستعلاء ، وتفضيل الجنس "الآري" أدلف هتلر في كتابه (كفاحي).

ولم تسلم أمة من الأمم من ظهور مثل هذه الأفكار ، فقد ظهر فكر الخوارج كفكر إسلامي متطرف نتج عن اجتهاد غير منضبط حيث كفروا صاحب الكبيرة ، وشنوا حرباً شعواء على المجتمع المسلم لأنه يخالفهم في عقيدتهم ومبادئهم ، ولم يكن الوصول إلى هذا الاجتهاد إلا بحثاً عن مبرر للخروج المسلح على الإمام علي -رضي الله عنه –، وعلى الدولة الإسلامية ، الأمر الذي حمل الإمام علي رضي الله عنه على قتالهم.

وإذا كان الخوارج كحركة سياسية قد اختفت تقريباً إلا أن التاريخ الإسلامي لم يخل من حركات غالت في أفكارها الأمر الذي انتهى بها إلى ارتكاب أحداث عنف غير مبررة شرعاً ، ولا يقرها الدين الإسلامي[43]. وفي العصر الحديث ظهرت جماعات تدعوا إلى العنف وتنتهجه كوسيلة تغيير، وهي تستند إلى فكر اجتهادي متطرف ، وتزعم أنه يمثل الاتجاه الصحيح في الإسلام .

ومن أبرز أمثلتها حالياً "تنظيم القاعدة" و"الجهاد الإسلامي "المتحالف معه ، غير أن أحداً من المرجعيات الإسلامية المعتبرة لم يُسلِّم لهذه الجماعات بما تدعيه .

وكانت "الجماعة الإسلامية " في مصر قد وضعت خلاصة أفكارها في ميثاق العمل الإسلامي الذي كان يعتبر الدليل النظري لها . وكان الهدف من إنشائها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير أنها – ولعوامل

كثيرة – طورت فكرها باتجاه استخدام العنف في تغيير ما تعتبره منكراً ، الأمر الذي أدى إلى مصادمات مع شرائح المجتمع المختلفة ، فتدخلت الدولة مستخدمة العنف تحت مبرر قمع عنف "الجماعة الإسلامية" ، وظلت الحرب بينها وبين الدولة سجالاً خلفت الكثير من الضحايا وأصدرت الجماعة الإسلامية العديد من النشرات والكتب، والأدبيات التي انتهت في مجمل أفكارها إلى :ــ

1) تكفير الحكام والأنظمة لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله .

2) الدعوة إلى تطبيق الشريعة فوراً ورفض التدرج .

3) رفض الديمقراطية باعتبارها فكرة غربية .

4) الدعوة إلى الشورى ورفض المشاركة السياسية .

ويمكن القول إن معظم أفكار الجماعة تدور حول فكرة التكفير للحكام ، وهو ما يجعلها تلتقي في الجزئية السياسية مع الخوارج ولكنها لا تطابقها في بقية الأفكار(44).

غير أن هذه الجماعة قد انتهت بعد مراجعات إلى إصدار أربعة كتيبات تعلن فيها التخلي عن استخدام العنف ، وذكرت أن ذلك كان نتيجة مراجعات فقهية طويلة ومتأنية وهذه الكتب هي :ـ

1) مبادرة وقف العنف (رؤية واقعية ونظرة شرعية).

2) النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين .

3) حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين .

4) تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء .

والملاحظ أن مؤلفي هذه الكتب هم أنفسهم الذين كتبوا ميثاق العمل الإسلامي السابق بإشراف الشيخ الدكتور "عمر عبدالرحمن "المرشد الروحي للجماعة(45) ، والذي كان من أهم ما يتناوله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، غير أنه مع الإشارة إلى الضوابط الشرعية فيه أباحت الجماعة لنفسها استخدام العنف تحت مبررات جاءت الكتب الأربعة الأخيرة لتنقضها ، وقد أقرها الشيخ "عمر عبدالرحمن" ، وإن كانت هذه الكتب تدعوا إلى تغيير المنكر إلا أنها لا تدعو إلى استخدام العنف لتغييره(46). ومثل هذا الفكر بعد المراجعة ـ وهو يتجه إلى الاعتدال ـ يجب الترحيب به من قبل الدولة لتشجيع بقية جماعات العنف أن تحذو حذو الجماعة الإسلامية في نبذ العنف.

"والجماعة الإسلامية" ليست الوحيدة التي قادها اجتهادها الفكري إلى العنف في بداية نشأتها وإنما

توجد جماعات أخرى[47] في العالم العربي لا تزال تمارس العنف بنفس المبررات التي كانت تمارسها الجماعة الإسلامية في مصر من قبل ، كتغيير المنكر والدفاع عن النفس ، ومحاربة الكفار وما يمارسه تنظيم "القاعدة والجهاد " اليوم من عنف في بعض البلدان الإسلامية يقوم على نفس الحجج التي كانت الجماعة الإسلامية تمارس العنف بموجبها من قبل. وقد انعكست آثاره سلباً على الإسلام والمسلمين ، وإن كانت مقاومة تنظيم القاعدة للاحتلال في العراق وأفغانستان تستند إلى مبررات شرعية فإنها تفتقد هذه المبررات في ممارسته للعنف في بعض الدول الإسلامية كدول الخليج ومصر.

وإذا كانت الأفكار الاجتهادية التي تستند إليها هذه الجماعات سبباً رئيساً لممارستها للعنف فإنه لابد من الأخذ بعين الاعتبار الدوافع والأسباب الأخرى التي تمثل بيئة خصبة لهذه الظاهرة واهم هذه الدوافع. (الاستبداد ، والفساد السياسي ، والاقتصادي، وضعف المرجعية الدينية)

ثانياً: الاستبداد :

يمثل الاستبداد أحد أهم العوامل التي تسهم بقدر كبير في صناعة العنف إما لدعمه وتكريسه أو لمقاومته، ومحاولة التخلص منه. وقبل النظر في خطورته لا بد من عرض تعريف الاستبداد وهو كما جاء في المعجم الوجيز (واستبدَّ الأمر: انفرد به.)[48] . وفى المنجد (استبدَّ بكذا . انفرد به مستقلاً ... ، والمُستبدُّ : من يأخذ في شيء و لايتركه إلا بعد إتمامه)[49].

وعرفه الكواكبي أنه (تصرف فردٍ أو جمعٍ في حقوق قومٍ بالمشيئة وبلا خوف تبعة)[50] .

وتعريف الكواكبي السابق ينطبق تماماً على الاستبداد السياسي الذي تمارسه اليوم العديد من الدول ، والذي يمثل صورة جلية للظلم الذي يمثل جزءاً من طبيعة الإنسان : قال تعالى " وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً"[51]. وانما شرعت الشرائع وقننت القوانين للسيطرة عليه والحد من آثاره وصدق المتنبي حيث قال:

والظلم من شيم النفوس فإن   تجد ذا عفة فلعلة لا تظلم

وللاستبداد تاريخ طويل يبدأ من فرعون الذي انفرد بكل شيء في مملكته حتى قال كما ورد في القرآن الكريم (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[52]. و((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[53].

مروراً " بذي نواس" "وابرهه" وغيرهم . ولكي تتضح الصورة لابد من الإشارة إلى الاستبداد العلمي

قبل التعرض للاستبداد المحلي، وذلك لوجود العلاقة القوية بينهما.

1- الاستبداد العالمي (أمريكا نموذجاً):

لم يقتصر الاستبداد اليوم على منطقة معينة، فقد انتشر في كل بقاع الأرض مدعوماً بالقوة العسكرية بل وضع المستبدون لأنفسهم قوانين كغطاء شرعي، وأُجبرت المنظمات الدولية –التي كان الهدف من إنشائها حماية شعوب العالم من الظلم –بسبب التدخل المستمر في شؤنها من قبل الدول الكبرى و على الأخص الولايات المتحدة على تبني العديد من المشروعات والقرارات التي تخالف كل مبادئ العدالة. فقد وقفت الولايات المتحدة ولا تزال أمام كل محاولة لإصلاح الأمم المتحدة يمكن أن تحد من الظلم الذي تمارسه الدول الاستبدادية العظمى منذ تأسيس المنظمة الدولية[54]. فنظـــام الفيتو (حق النقض) في مجلس الأمن الذي تتمتع به هذه الدول يفرغ كل قانون أو قرار يصدر عنه من معنى العدالة. فقد استخدمت الولايات المتحدة حق النقض مثلاً في كل مرة يصدر فيها قرار يدين أعمال العنف التي تمارسها إسرائيل ضد شعب فلسطين أو تطالبها بإنهاء احتلالها لأرضهم. كان آخرها مشروع لإدانة إسرائيل بسبب عدوانها على غزة في 14 / 7 / 2006م كما أفشلت أمريكا مشروع قرار لوقف العدوان الإسرائيلي على لبنان والذي استخدمت فيه إسرائيل كافة وسائل الدمار والقتل ضد المدنيين بحجة استعادة جنديين أسرهما (حزب الله) لمبادلتهما بأسرى من عناصره لدى إسرائيل، ولتتيح الفرصة لإسرائيل لتدمر كامل البنية التحتية للبنان[55] وترتكب المجازر ضد المدنيين. وتتدخل هذه الدول باسم الأمم المتحدة في شئون الدول الصغيرة، ولم يقتصر هذا التدخل على الجانب السياسي بل دعمت ذلك بالتدخل الاقتصادي عبر البنك الدولي وصندوق النقد، ومنظمة التجارة العالمية التي أفرزت اتفاقية (الجات)[56]، والتي تكرس بكل قوة التبعية الاقتصادية للدول الكبرى.

وحتى يصبح الاستبداد والتبعية بشقيه السياسي والاقتصادي مقبولاً لدى الشعوب الأخرى كان لا بد من اختراق ثقافة هذه الشعوب، عن طريق إحلال ثقافة العولمة محل الثقافات التي تحدد شخصية هذه الشعوب وذلك بهدف إذابة تلك الثقافات التي تقف سداً مانعاً أمام تمرير مخططات الاستبداد العالمي[57]. وفي سبيل ذلك رفعت ثقافة العولمة أولاً شعارات براقة (كالحرية، الديمقراطية، حقوق الإنسان ... الخ)[58] وباسم هذه الشعارات صارت دول الاستبداد تقدم مشاريع مشبوهة[59]. عبر الأمم المتحدة أو مباشرة من قبلها بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب عن طريق هدم القيم الاجتماعية والأخلاقية، مما يؤدي إلى إحداث فوضى اجتماعية تنتهي بالاحتكام إلى قيم الاستبداد العالمي بعد أن تكون قد تكونت لدى هذه الشعوب قابلية

للاستبداد والاستعباد[60] بحيث يصبح تمرير أي مخطط ممكنا أو أقل صعوبة .

فالعنف الذي تمارسه الولايات المتحدة ضد خصومها وربما حلفائها لإرهابهم وحملهم على تحقيق مطالبها يحتاج إلى غطاء قانوني. ومن أجل ذلك سعت وتسعى لاستصدار قوانين أو قرارات من المنظمة الدولية وضعت خصيصاً لخدمة مصالحها. وإذا لم تتمكن من ذلك عبر المنظمة الدولية فإنها تصدر قوانين التدخل بنفسها عبر الكونجرس، فقد أصدر الكونجرس ، قوانين حماية الأقليات الدينية لتمارس الضغوط على مصر ـ والسعودية ، والتدخل في شؤنهما. كما أصدرت قوائم خاصة بها للدول الداعمة للإرهاب لتصبح سيفاً مسلطاً على الدول الضعيفة أو التي تعارض سياساتها وتصطنع الولايات المتحدة كافة الذرائع لممارسة الضغوط على الدول العربية[61] .

وتصدر الخارجية الأمريكية تقريراً سنوياً عن حقوق الإنسان في العالم لتستخدمه مع غيره من القوانين كذريعة للتدخل في شئون الدول الأخرى ، والضغط عليها في الوقت الذي تنتهك الولايات المتحدة الأمريكية كافة القوانين ، ولها سجل حافل بالانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان تذكره تقارير بعض المنظمات الدولية[62] .

وقد نتج عن ذلك التدخل من قبل دول الاستبداد العالمي الذي تمثله أمريكا ـ اختلالاً كبيراً في كثير من المفاهيم والقيم ، والثوابت التي كانت تحكم العالم قبل وصول التطرف الإنجيلي إلى البيت الأبيض ، الأمر الذي أدى إلى الازدواجية في المعايير حولت الباطل حقاً والحق باطلاً ، وحتى تلك المفاهيم والمصطلحات التي تحمل مدلولاً واحداً اتفق عليه كل البشر أثرت فيها هذه الازدواجية فأصبح الاحتلال يعني التحرير[63] ، والمقاومة إرهاباً[64] وشارون رجل سلام[65] والمجتمع الدولي هو أمريكا وإسرائيل . والمثير للدهشة تكرير هذه المفردات من قبل بعض أجهزة الإعلام العربية بمفهومها الأمريكي.

وفي تقديري أن حرب الولايات المتحدة وأوربا التي تشنها على بلدان إسلامية تحت ذريعة محاربة الإرهاب بعيدة كل البعد عن الهدف الحقيقي الذي تعددت دوافعه بتعدد الممولين والمحرضين على شن هذه الحرب، فالنفط يمثل قوة جذب للاقتصاديين والرغبة في تحجيم الإسلام والقضاء عليه يمثل رغبة تصل إلى حد الهوس لدى الصهاينة الإنجيلين . ومحاولة فرض القيم والعادات الأمريكية على الشعوب الأخرى تمثل رغبة لدى المثقفين الغربيين من أمثال فوكوياما صاحب (نهاية التاريخ)[66].

ولهذا فقد واكب الغزو العسكري على أفغانستان والعراق حملات إعلامية قوية لتضخيم خطر الإسلام على الغرب ، واتكأت هذه الحملات على أحداث 11 سبتمبر . وفي سبيل ذلك أنشأت دول الاحتلال وخاصة

الولايات المتحدة الأمريكية العديد من المحطات الإذاعية والتلفزيونية[67] تروج لأطروحات الاحتلال ومصطلحاته ، وشاركت تحت الضغط الأمريكي قنوات عربية في هذه الحملة ولا تزال . وسعت الولايات المتحدة الأمريكية وهي تشن الحرب ضد المسلمين إلى محاولة تحسين صورتها في العالم الإسلامي، ورصدت المبالغ الطائلة لذلك .

ففي التقرير الصادر عن مكتب المحاسبة الأمريكية ذكر التقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى تحسين صورتها في ثمان وخمسين دولة هي مجموع دول العالم الإسلامي وقد تم رصد مبلغ 1.2 بليون دولار لهذا الهدف في ميزانية عام 2005م . ويتم الآن إعداد الدبلوماسيين الأمريكيين في السفارات الأمريكية في العالم الإسلامي لهذا الهدف ، ويتم التنسيق لزوار وأكاديميين أجانب لأمريكا تحت ما يسمى ببرامج التبادل الثقافي ، وقد أنفقت 356 مليون دولار من ميزانية الخارجية الأمريكية، كما أنفقت 68 مليون دولار على برامج معلوماتية تهدف إلى توفير مزيد من المعلومات عن الولايات المتحدة من خلال مواقع الإنترنت ونشر المعلومات عبر المراكز الثقافية الأمريكية حول العالم، واستحدثت وزارة الخارجية منصباً جديداً هو مساعد وزير الخارجية للشئون الدبلوماسية العامة، كما أرسلت وزارة الخارجية وفوداً إلى دول إسلامية مثل مصر وباكستان لهذا الغرض ، وزاد الإنفاق على برامج الدبلوماسية بنسبة 21٪ بين عامي 2004 – 2006 كانت النسبة الكبرى بين هذه الزيادة قد أنفقت على البرامج الموجهة إلى العالم الإسلامي[68].

والولايات المتحدة – بالإجراءات السابقة – لا يمكن أن تصل إلى هدفها في تحسين صورتها في العالم الإسلامي. لأنها لم تعالج أسباب الكراهية ولم تتطرق إلى تغيير سياستها تجاه العالم الإسلامي فهي تحتل أفغانستان والعراق ، وتحصد أسلحتها وتقتل يومياً مئات المسلمين الأبرياء ، وترتكب قواتها أبشع جرائم الحرب ضد مواطني البلدان المحتلة دون اعتبار لحقوق الإنسان . وما فضيحة سجن (أبو غريب) ومدينة حديثه[69] ، (وجوانتانامو) إلا أمثلة على ما تمارسه الولايات المتحدة ضد الشعوب الإسلامية . ويأتي دعمها اللامحدود لدولة إسرائيل مع كل الجرائم التي تمارسها ضد الفلسطينيين ليزيد من معدل الكراهية لأمريكا في البلدان الإسلامية .

إن أسباب العداء ودوافع العنف ضد الولايات المتحدة لم تكن سوى ردود فعل متوقعة لكل الممارسات التي ترتكبها أمريكا ضد الشعوب الإسلامية ، ولم تقتصر موجة العداء للولايات المتحدة على المسلمين وحدهم بل أضافت سياسة أمريكا بقيادة "الإنجيليين" الجدد أعداءاً جدداً كانوا حلفاء لها بالأمس[70] فقد استخدمت الولايات المتحدة مطارات بعض حلفائها الأوربيين كمحطات لنقل أسرى تختطفهم (CIA) من بلدان عديدة ،

كما أقامت سجوناً سرية في دول أخرى ، الأمر الذي أثار غضب الدول الأوربية . وعليه فأن كل الإجراءات السابقة التي اتخذتها أمريكا بعيدة كل البعد عن المعالجات الحقيقية التي تلامس أسباب العنف ، وإذا لم تغير الولايات المتحدة سياستها تجاه العالم الإسلامي وفقاً لمبادئ العدالة والأخلاق ، وتتوقف عن ممارسة الظلم فإن العنف المتبادل بين أمريكا والعالم الإسلامي سيظل هو لغة الحوار السائدة بينهما .

2 – الاستبداد المحلي :ـــ

وإذا كان الاستبداد العالمي ـ كما أسلفنا ـ يمثل سبباً رئيسياً لظهور العنف فإن الاستبداد المحلي المتمثل في غياب الحريات ورفض القبول بالرأي الآخر ، وقمع المعارضة وغياب الديمقراطية يشكل بيئة خصبة لتنامي العنف.

فالحكومات الاستبدادية التي تعتبر سياستها وقوانينها ثوابت لا يجوز المساس بها أو الخروج عليها ، بل وتسعى بكل قوة لإضفاء الشرعية على الاستبداد والحفاظ على ديمومته ، لا يتظر منها أن تنجح في محاربة ظاهرة العنف بينما تسهم بقوة في صناعة أسبابه .

أ ـ الفساد السياسي : ويمثل أخطر العوامل التي تؤثر مباشرة في العنف ودرجته ، لذا فإن الشورى والديمقراطية، والتداول السلمي للسلطة واحترام الدساتير التي ارتضاها الناس، وإشاعة الحريات تسهم بشكل كبير في خفض معدلات العنف في المجتمع. فكثيراً ما قاد زعماء الاستبداد شعوبهم إلى مهالك وهزائم متكررة بسبب احتكارهم لكل السلطات ، ورفضهم القبول بالتحاور والتشاور أو فتح أي قنوات للاتصال مع شعوبهم في الوقت الذي يرضخون فيه لكل ضغوطات وإملاءات الخارج ، والتي تمس غالباً سيادة دولهم . حيث غلب عليها طابع النظام الأبوي المستبد ، ودعمت ذلك الاستبداد بقوانين الطوارئ(71) لتظل سيفاً مسلطاً لقمع الشعوب ، وانتهاك كافة حقوق الإنسان. وقد وصل الأمر ببعض الأنظمة أنها تحكم بهذه القوانين منذ عقود عديدة الأمر الذي أفرز نخباً انتفاعيه تدافع عن هذه الأنظمة ، وربما كان وجودها لتجميل وجه النظام .

ب ـ الفساد الاقتصادي : كان للفساد الاقتصادي وخطط التنمية العشوائية ، والنهب المنظم للثروات في البلاد العربية أثره السلبي في نمو اقتصاديات الدول الإسلامية مما حول دولاً كانت غنية إلى دول مدينة تتظر المساعدات الأجنبية ، وتخضع لشروطها المجحفة. وتصل تدخلات الدول المانحة إلى حد التدخل في شئون هذه الدول ، ويسهم البنك الدولي بقروضه مع وجود أنظمة الفساد في زيادة العبء

الاقتصادي على مواطنيها، الأمر الذي أدى إلى تدهور الوضع المعيشي وزيادة نسبة البطالة بين الشباب والشعور باليأس .

فقد بلغت ديون الدول العربية حتى نهاية عام 2004 (151.1) مليار دولار بزيادة (3.4) مليار عن عام 2003م ، وإذا كانت زيادة أسعار النفط في السبعينيات والثمانينيات ، قد حققت عوائد كبيرة للدول النفطية العربية[72] ، إلا أن حربي الخليج الأولى والثانية قد ابتلعت تلك العوائد ، وحولت هذه الدول إلى دول مدينة .

فإن عوائد الارتفاع في أسعار النفط بين عامي 2002 -2005م سوف تبتلعها حرب الخليج الثالثة، وإعادة تعمير العراق.

وكانت دول الخليج تقدم بعض المساعدات للدول العربية الفقيرة إلا أن هذه المساعدات قد انقطعت عن البعض وانخفضت عن البعض الأخر بسبب المواقف السياسية من حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت) ، الأمر الذي أثر سلباً على اقتصاديات هذه الدول وجاء طرد عمالة بعض هذه الدول من الخليج ليزيد معدل البطالة فيها ، الأمر الذي أضاف عبئاً على مواطني هذه الدول .

وجاء تغلغل الفساد في الدول العربية ليسهم بفاعلية في الكوارث الاقتصادية المتلاحقة التي أفرزتها خطة التنمية المتعددة. فقد بلغ حجم الفساد في الدول العربية طبقاً لتقديرات البنك الدولي إلى (300) بليون دولار سنوياً وتمثل هذه النسبة (30.3٪) من حجم الفساد العالمي[73] وبموجب تقرير البنك الدولي فإن (73) مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر ، و(109) مليون عربي يعانون من سوء التغذية و(46٪) من العرب أميون ،منهم (65) مليون من البالغين ، وتمثل النساء ثلثي هذا العدد[74].

وأكد تقرير منظمة الشفافية الدولية أن الفساد ينتشر في الدول العربية بشكل كبير ، وذكر التقرير أن الدول العربية تتصدر قائمة الفساد ، حيث جاء الترتيب لبعض الدول العربية كالآتي:

مصر والسعودية وسوريا	(70)
فلسطين	(107)
ليبيا	(117)
العراق	(137)
السودان	(144)
وجاءت عُمان الأقل فساداً في الدول العربية بترتيب رقم	(28)

وقد يكون معدل الفساد أكبر بكثير مما أوردته التقارير السابقة. ومن المعلوم أن الفقر والبطالة والفساد توفر بيئة خصبة للعنف والإرهاب الذي ينتج عن فقدان الثقة بين الشعوب والحكومات الأمر الذي يقوّض الأسس الشرعية التي قامت عليها هذه الحكومات بعد أن يكون قد هدد النظام الاقتصادي والاجتماعي.

ثالثاً: ضعف المرجعية الدينية:

تعد المرجعية الإسلامية اليوم إحدى أهم القضايا التي يجب الالتفات إليها والبحث فيها نظراً لخطورة ما يترتب على غيابها من آثار جسيمة تؤدي إلى تفرق الأمة وانشغالها في صراعات جانبية لا تعود بأي نفع، وإذا كانت الأمة الإسلامية بكل مذاهبها تتفق تقريباً على أن الكتاب والسنة هما المرجعية الأساسية لكل المسلمين، فإن المذاهب قد اختلفت فيمن يمثل هذه المؤسسات المرجعية، فقد اعتبر أهل السنة أن العلماء الذين ترتضيهم الأمة، والذين يعملون بكتاب الله وسنة رسوله هم المرجعية. وقد احتوتهم على مدى قرون بعض المؤسسات الدينية كالأزهر في القاهرة، وجامعة الزيتونة في تونس، وجامعة القرويين في المغرب، وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وهذه المرجعيات عند أهل السنة لم تتكون بين عشية وضحاها، وإنما تكونت تدريجياً من ثقة الناس بعلماء هذه المراكز ونزاهتهم. وهذه المراكز ليست إلا امتداداً لمرجعيات ظهرت بشكل فردي في تاريخنا كالعز بن عبد السلام، وابن تيمية وغيرهم. وهم ينتمون إلى مدارس فقهيه مرجعية مثّلتها في عصر متقدم المذاهب السنية الأربعة على وجه الخصوص، وفي العصر الحديث ظهرت مرجعيات جماعية تحولت إلى مؤسسات حظيت عبر تاريخها بالاحترام، وكان لها أثرها الكبير في توجيه المجتمعات، والمحافظة على استقرارها.

غير أن سياسة الاحتواء والإضعاف التي مارستها الدولة، قد غيبت ثقة الناس بهذه المؤسسات الرائدة، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للاجتهادات المختلفة التي مثلتها بيانات وأدبيات وفتاوى بعض الحركات الإسلامية والتي أصبحت تمثل مرجعية بديلة لأتباعها تتناقض أحياناً إلى حد كبير مع المرجعية الرسمية التي تمثلها هذه المؤسسات والتي تحولت بسبب تدخلات الدولة إلى مرجعية تبريرية لإضفاء الشرعية على قرارات الحكومة ويعتبر الأزهر مثالاً لتلك التدخلات التي أوصلته إلى الحال التي هو عليها[75].

وعلى الرغم من وجود بعض المجامع الفقهية الإسلامية كالمجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة، وغيرها، إلا أن هذه المجامع أقتصر دورها على إصدار فتاوى تتعلق بالمعاملات الشرعية ولم تجرؤ بسبب هيمنة الدولة -على الخوض في المسائل السياسية التي يعاني منها العالم الإسلامي.

ودعوتنا إلى إحياء دور المرجعية لا يعني الدعوة إلى توحيد الفتوى في كل المسائل، فإن لكل بلد ظروفه

وعرفه الذي يحتم تنوع الاجتهاد ، وبالتالي تنوع الفتوى ، فقد رفض الإمام مالك تدخل الدولة حين أراد "المنصور العباسي " حَمْل الناس على الموطأ ..... فقال الإمام مالك "ياأمير المؤمنين لا تفعل " فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث......"[76] فرجع المنصور عن ذلك . وقد اختلف الصحابة في مسائل مختلفة، وهذا الاختلاف فيه سعة للناس. ومن المعلوم أن بعض الأحكام الفقهية تختلف من بلد إلى بلد نتيجة اختلاف العرف، وقد كان للشافعي مذهبان قديم في العراق، وجديد في مصر ـ كان نتيجة تغير الاجتهاد بسبب تغير العرف والظروف. أما ما ندعو إليه من إحياء المرجعية فإننا نقصد بذلك قيام مرجعية إسلامية لتبت في القضايا الكبرى التي تواجه الأمة . وإذا كانت الدولة قد ساهمت بفعالية في إضعاف المرجعية الدينية فإنها ليست وحدها المسئولة عن ضعف المرجعيات وهناك أسباب أخرى أدت إلى هذا الضعف منها:

(1) تقوقع بعض العلماء وعدم مواكبتهم لقضايا العصر التي تهم الناس.

(2) بعدهم عن مواقع القرار . الأمر الذي ترك الباب مفتوحاً لاجتهادات مختلفة من أناس ليسوا بعلماء و يفتقرون إلى العلم الشرعي الراسخ .

(3) إسهام بعض العلماء في ظهور مرجعيات خاصة ببعض الجماعات نتج عنها غلو في أفكار هذه الجماعات تحولت بسبب ذلك الغلو إلى العنف والإرهاب .

والمجامع الفقهية الحالية لا يمكن أن تسد الفراغ وخاصة أن هذه المجامع تخضع معظمها لسيطرة الدول الواقعة فيها ، ويبدو أن سعيا حثيثاً لتكوين مرجعية قد بدأ فعلاً حيث ظهر اتحاد العلماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ القرضاوي الذي نعتقد –إلى حد كبير –أن له القدرة في التصدي لبعض مشكلات الأمة ، وقد ظهرت أهمية هذا الاتحاد في أحداث الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أصدر فتوى المقاطعة الشهيرة .

وخلاصة القول فيما يتعلق بالمرجعية :

1) أن المرجعية لا يمكن فرضها على الناس بالقوة أو بمرسوم أو قرار ، وإنما تتكون نتيجة ثقة الناس بالعلماء الذين يرجعون إليهم . وقد ظهرت المرجعيات قديماً وحديثاً بهذه الصورة .

2) أن العلماء المسلمين مطالبون اليوم بالتوحد ونبذ الخلاف والبحث عن نقاط الالتقاء لإنشاء مرجعية حقيقية بعيدة عن سلطة الدولة الرسمية التي تفرض الهيمنة على المرجعيات ، وتصادر حقها في قيادة الأمة . والوضع الراهن فرصة سانحة لتكوّن مثل هذه المرجعيات.

3) أثبتت التجارب أن الإسلام قادر على تكوين المرجعيات التي نحتاجها لإدارة الأزمات .

4) أن وجود مرجعيات مستقلة تحظى باحترام الجميع سيقطع الطريق أمام ظهور تيارات الغلو والتكفير، وسيجنب البلاد والعباد مخاطر كبيرة ، الأمر الذي يسهم في حفظ الأمن والسلام الاجتماعي .

المبحث الثالث: الحلول والمعالجات :

نظراً لتعدد العوامل التي تسهم في ظاهـرة العنف والإرهاب وأهميتهـا فـإنه لابد - لإيجاد معالجات ناجعة - من تعدد الحلول وتزامنها حتى تحدث أثراً إيجابياً. وعليه نرى أن تكون المعالجات كالآتي:

أولاً : على المستوى الدولي:

1) العمل على رفع الظلم ، وذلك عن طريق تفعيل دور الأمم المتحدة في تصفية الاستعمار عن الدول والشعوب التي لا تزال ترزح تحته . وإنهاء تسلّط الدول الكبرى على الأمـم المتحـدة وقراراتهـا، فالدول الكبرى هي التي فرغت معظم قرارات الأمـم المتحـدة مـن مضـمو نها بسـبب (الفيتـو) ، وأصبحت تمارس كل أنواع الظلم تحت هذا الغطاء ، بـل وتحمـي بكـل قـوة دولاً تمـارس الظلـم والاضطهاد ضد شعوب أخرى.

2) السعي لإيجاد تعريف واضح وموحد للإرهاب يشمل كل عناصره بعيداً عن التعريف النفعي الـذي يخدم مصالح بعض الدول. ويجب أن يتضمن التعريف كافة أشكال الإرهاب بما في ذلك إرهـاب الدولة ، والإرهاب الدولي ، والإرهاب الاقتصادي ، والثقافي والسياسي، والتفريق الواضح بينـه وبين المقاومة.وتقع مسئولية إيجاد هذا التعريف على كافة الدول، ولا تستأثر دولة أو دولاً بعيـنها في وضعـــه ومحاولة فرضه على الجميع.

3) إعادة النظر في النظام الاقتصادي العالمي الحالي الذي يكرس تبعية الدول الفقيرة للدول الغنية ويسهم بفعالية في زيادة معدلا ت الفقر والبطالة في العـالم، وذلـك بـالتزامن مـع إصـلاح الأمـم المتحـدة ومنظماتها وهيئاتها، ومن ذلك صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

4) تشجيع الحوار بين الثقافات المختلفة ، لأنه أفضل الوسائل لتحرير الفكر الإنساني من بذور التطرف.

5) السعي لإيجاد توازن للقوى عن طريق تكوين اتحاد –من أي نوع - بين الدول الإسلامية لمواجهـة التحديات التي تتعرض لها الأمة الإسلامية.

ثانياً : على المستوى المحلي :

1) الحل الثقافي الفكري:

يُعَدّ الحل الثقافي (الفكري) أكثر الحلول إلحاحاً، فالفكر لا يواجه إلا بالفكر. وعليه لابد من إعادةالنظر في الكثير من الأطروحات الفكرية القائمة والتي تميزت بالتطرف لدى كثير من التيارات الأمر الذي جعل من الحوار مسألة صعبة حيث ساد منطق (لأ قتلنك) على أي حوار منطقي . ولتحقيق ذلك لابد من :

أ- نشر ثقافة التسامح والوسطية ، وتشجيع الحوار بين كافة التيارات الفكرية على الساحة من خلال بسط المشكلات على طاولة البحث ، وعلى أن تسهم في إنجاح هذا الحوار المؤسسات الرسمية بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والجامعات ومراكز الأبحاث دون إقصاء لأي تيار، وذلك بهدف إيجاد أرضية مشتركه تجمع بين الخصوصية الوطنية والعربية والإسلامية.

ب- إعادة النظر في المناهج الدراسية التي تعرضت للتشويه من حين لآخر في بعض الدول تحت مبرر الإصلاح ، وخضعت أحياناً لمدارس فكرية مختلفة من جهة أخرى . الأمر الذي أفرز جيلاً مختلف الرؤى والاتجاهات قفز بعضه تطرفاً على كل الثوابت والقيم التي تصالح عليها الناس ، بل وطالب بإلغاء فكر الآخرين مما أوجد تطرفاً وتطرفاً مضاداً .

وعليه لابد من إشاعة حرية الفكر، وتضمين ذلك في المناهج الدراسية لتدريس النشء على القبول بالرأي الآخر والتعايش معه .

ج- إعادة الاعتبار للمرجعية الدينية الوسطية ، ودعم استقلالها وعدم التدخل في شئونها لقطع الطريق على المغالين ، وظهور مرجعيات متطرفة ، وعلى الدولة أن تحترم قراراتها وفتاواها لإعادة ثقة الناس بها ، وفي ذلك إسهام لتعزيز الأمن والسلام الاجتماعي .

2) الحل السياسي:

إن القرار السياسي في بعض البلاد العربية والإسلامية هو المسئول الأول عن الأوضاع التي تعاني منها البلاد وإذا لم تشارك كافة القوى في صياغة هذا القرار وفقاً لضوابط الشورى والديمقراطية فإن الأوضاع ستزداد سوءاً وسيسود العلاقات المتبادلة بين الشعوب ومراكز القرار منطق العنف والإرهاب.

ولأن بعض هذه الأنظمة لم تحقق لشعوبها حتى الآن أياً من طموحاتها في الرفاه الاقتصادي ، ولم تحرر الأرض المغتصبة ، ولم تخض مقاومة منظمة مستمرة لتحريرها ، ولا هي سمحت لشعوبها أن تقاوم بطريقتها ،

وإنما كانت ولازالت بعضها أفضل حماية للعدو المغتصب (إسرائيل) ،الأمر الذي خلق جواً من الإحباط لدى الشعوب - وبخاصة الشباب -أفرز حركات اجتهادية وصل ببعضها إلى حد التكفير لهذه الحكومات. ولتمارس العنف ضد الكفار ، ومن والاهم حسب زعمها . ودعوة بعض الأنظمة العربية والإسلامية إلى الاعتدال والإصلاح في كافة المجالات في الوقت الذي تغرق فيه هذه الأنظمة في الفساد بكافة أشكاله، وتمارس القمع والاستبداد ضد شعوبها فمثل هذه الدعوة لا يمكن أن تلقى قبولاً. فالأنظمة الحالية بتركيبتها القائمة لا تصلح وحدها لقيادة الإصلاح والتغيير، وهي غير مؤهلة لإيجاد أو إعداد البديل لأنها قد فقدت القدرة على التغيير والتطور .

ولذا فإن مسئولية الإصلاح والتغيير في العالم العربي والإسلامي تقع اليوم على عاتق الجميع ، من العلماء والمفكرين والمثقفين المخلصين لوطنهم والحكومات ، ولابد من قيام حوار جاد بين كافة التيارات في البلاد لتحقق هدف الإصلاح المنشود بعيداً عن التطرف والغلو ، ودعوات الإصلاح الخارجية التي لا تستهدف سوى تحقيق المصالح الأجنبية .

3)الحل الاقتصادي:

ولا بد لتخطي تلك المشكلات الاقتصادية التي تعانيها الدول العربية عمل الآتى:

أ - محاربة الفساد بكافة أشكاله بالتزامن مع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ب - التوجه لقيام تكتل اقتصادي إسلامي عن طريق قيام مشاريع استثمارية مشتركة بين الدول الإسلامية.

ج - زيادة معدلات التجارة البينية بين الدول الإسلامية لإيجاد وظائف وفرص عمل للشباب الأمر الذي سيؤدي إلى خفض معدلات البطالة التي توفر بيئة خصبة للعنف والإرهاب .

د - وضع خطط اقتصادية طموحة بهدف التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية خاصة مع وجود ثروات هائلة يمكن توظيفها لنهضة اقتصادية شاملة.

ه - الاستفادة من تجربة بعض الدول الإسلامية مثل ماليزيا في وضع هذه الخطط .

4) الحل الاجتماعي:

السعي لتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين كافة ، وإلغاء الفوارق التي تخل بالسلام الاجتماعي بين المواطنين ، وتعزيز الوحدة الوطنية بين فئات المجتمع بحيث تشعر الأقليات بالأمان والانتماء إلى الوطن الواحد مما يقطع الطريق على التدخلات المحلية والخارجية التي تؤدي إلى العنف والإرهاب.

الخاتمـــة وأهم النتائج

وختاماً نرى أن العنف والإرهاب يظهران لأسباب لابد من السعي لمعالجتها والتهرب من معالجة الأسباب إلى مواجهة النتائج لن يؤدي إلى حل للمشكلة ومن مما سبق نخلص إلى أهم النتائج وهي :

1 - انتهيت الى أن تعريف مجمع الفقه الإسلامي بمكة للإرهاب أقرب من غيره من التعريفات إلى مفهومه .

2 - أن للعنف والإرهاب أسباباً لم يتطرق إليها معظم الذين يزعمون أنهم يحاربون الإرهاب وخاصة الدول الاستعمارية.

3 - أن معدل العنف في العالم قد زاد مع تولي (الإنجيليين الجدد) مقاليد الحكم في البيت الأبيض ، بسبب ما يؤمنون به من فكرٍ متطرف ، وساعد على ذلك عدم وجود توازن للقوى في العالم.

4 - أن العنف والإرهاب يبدأ بالفكرة ، وتساعد عواملٌ أخرى في تحوله إلى فعل مادي.

5 - أن الحاجة ماسة لإصلاح النظام العالمي والمؤسسات الدولية وفقاً لمبادئ العدالة والأخلاق.

6 - أن عدم التوصل إلى تحديد مصطلح شامل للإرهاب تتوافق عليه كافة الأمم يفتح باباً واسعاً للاجتهاد النفعي الذي يصب في مصلحة بعض الأطراف.

7 - أن الظلم يمثل السبب الرئيسي لوجود العنف والإرهاب. فحيثما يوجد الظلم يوجد العنف والإرهاب لأن العدل لا يحتاج إلى عنف أو إرهاب.

8 - أن بعض الحكومات الإسلامية الاستبدادية قد أسهمت -بسبب سياستها الاقتصادية والإجماعية وتخلفها عن الوفاء بالتزاماتها تجاه مواطنيها - في إيجاد بيئة خصبة للعنف والإرهاب .

9 - أن العنف والإرهاب لا علاقة له بدين أو جنسية أو زمان أو مكان ، فهو يتواجد حيث تتواجد أسبابه.

10 - أن المرجعية الدينية المستقلة تمثل أهمية كبرى في الحد من تصاعد العنف والإرهاب وقطع الطريق على المغالين .

11 - أن معدل الكراهية والخوف ، وانعدام الثقة سيظل في تصاعد مستمر ما لم توجد معالجة حقيقية لمشكلة العنف والإرهاب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمين ، ،

الهوامش و المصادر والمراجع

(1) سورة البروج: الآيات من 1 – 8.

(2) سورة الفيل: الآيات 1ـ2 .

(3) الكبيسي : خليل إبراهيم ، المريسكيون في الأندلس ، نظرة جديدة في التسمية ، مجلة تهلة، جامعة الحديدة ع (1) يناير – يونيو 2000 مصـ133ـ 140.

(4) عقد في مدينة نيقيه عام (325م) بحضور 2048 من الا ساقه ورفضت فيه اراء (أريوس) التي تدعوا الى التوحيد وقرر المجمع أن المسيح جوهر الله قديم غير مخلوق وأنه الاقنوم الثاني من الثالوث (قدس) وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى اتباع (اريوس) في رسالة الى قيصر الروم وهرقل) حيث جاء فيها (.... فانما عليك اثم الاريسيين) للمزيد يراجع مقال المستشار محمد عزت الطنطاوي مجلة الوعي الاسلامي ع203 – 1981 م ، والموسوعة الميسرة المرجع السابق .

(5) وهي حركة يهودية لجأت إلى العنف المفرط في مواجهة الاحتلال الروماني وكان الرومان يطلقون عليها "المخنجرين" لاستعمالهم الخنجر في اغتيال ممثلي السلطة الرومانية وأبناء جلدتهم ممن يعتبرونهم كفاراً للمزيد راجع عبدالله بن الشيخ بن بيه ، الإرهاب ط(2) 2005م ، مؤسسة الريان بيروت صـــ10،.

(6) النجار: عامر الخوارج، ط(3) 1990م، دار المعارف القاهرة صـ136 – 144 .

(7) حركة باطنية تنتسب الى حمدان قرمطا – ظهرت في الكوفة 278 هـ – اعتمدت التنظيم السري العسكري واستخدمت العنف لدعوتها الى الشيوعية الاباحية وهدم الاخلاق . وانتشرت في البحرين ، العراق ، اليمن قاموا بقتل حجاج بيت الله عام 319 هـ واقتلعت الحجر الاسود من الكعبة وظل لديهم عشرين عاماً انتهت ..... راجع الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة ط (2) 1989 م الندوة العالمية للشباب الاسلامي .. الرياض.

(8) ايدولوجية : تعني (مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية، انظر البعلبكي ، المورد ط(2) 1969م ، دار العلم للملايين بيروت صـــ447.

(9) كان من ابرز أعمالها اختطاف وزراء بترول الاوبك في السبعينيات من القرن الماضي وقاد العملية الإرهابي العالمي كارلوس والذي سلمته السودان لفرنسا مقابل صفقة رفع السودان من قائمة دعم الإرهاب .

(10) قام بعدة عمليات كان أبرزها اختطاف وقتل رئيس وزراء إيطاليا السابق السنيور الدامورو.

(11) اقدم هذا الحزب على عدد من المذابح ضد السيخ والمسلمين في الهند وتوّج جرائمه بهدم البابري مسجد في6/ 12/ 1992م.

(12) وهذه الجماعة مع بقية الجماعات المذكورة أعلاه مسئوله عن عدد من المذابح التي راح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين قبل قيام دولة إسرائيل1947. أنظر Sachar : Howard M. A history of Israel From the Raise of Zionism to our Time . Alfred A Knopf. NY – 1981=pp:213 – 214.

(13) انظر المعجم الوسيط ، أحمد حسن الزيات وآخرون ، جـ(2) ، ط (بدون) ،دار الدعوة اسطنبول تركيا. صـ659 –660 والمعجم الوجيز المرجع السابق صـــ 454 .

(14) المائدة:77.

(15) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب الرفق برقم 6544، 4/77 جـ16 . ط (3) 1996 م دار المعرفة بيروت

(16) المعجم الوسيط، المرجع السابق صـ555 ـ والمعجم الوجيز المرجع السابق صـــ 389 ..

(17) انظر لسان العرب : ابن منظور ، جـ (4) ط (بدون) ، دار المعارف ـ مصر ـ صـ3132 ـ 3133 . والمعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، ط (بدون) ، المركز العربي للثقافة والعلوم ـ بيروت ـ لبنان ، صـ 437

(18) انظر لسان العرب المرجع السابق ، والمعجم الوسيط المرجع السابق صــ 379 .

(19) سورة : الأعراف: 16.

(20) سورة : البقرة: 40.

(21) سورة : الأنفال: 60.

(22) سورة : البقرة: 190.

(23) الموسوعة الأكاديمية الأمريكية، مج (19) ط (بدون)، 1981م، صــ 122.

(24) الموسوعة العربية الأكاديمية مجـ (1) ط (2) 1999م صــ 558 .

(25) تأثر بهذا التعريف عدد من المفكرين العرب قد ورد في المعجم الوجيز " الإرهابيون " وصف يطلق على الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية صــ 279.

(26) نشأت هذه الاتفاقية بقرار من مجلس وزراء العدل و الداخلية العرب في 22/ 4/ 1988م بإشراف الجامعة العربية .

(27) الكيلاني .هيثم الإرهاب يؤسس دولة (نموذج إسرائيلي (بدون)1977م ،دار الشروق القاهرة صـ 63،64.

(28) شكري : محمد عزيز ، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، ط بدون 2002مدار الفكر دمشق صـ125 .

(29) الرئيس الأمريكي السابق بل كلينتون .

(30) أنظر الكيلاني : المرجع السابق نفس الصفحات وبرتوكولات حكماء صهيون .

(31) تيودور هرتزل : صحفي نمساوي (1860 –1904) مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة بهدف إقامة دولة لليهود في فلسطين ، أقام أول مؤتمر صهيوني عالمي 1897م ونجح في تجميع حكماء اليهود الذين أصدروا (بروتوكولات حكماء صهيون) أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والملاهب المعاصرة مرجع سابق صــ332.

(32) الكيلاني مرجع سابق صــ68 .

(33) المرجع السابق : صــ68 ـ 70. وانظر مذكرات اريل شارون ، ترجمة أنطوان عبيد ، ط(1) 1992م مكتبة بيسان بيروت صـ707.

(34) عرفوا بالأصوليين الجدد ، راجع الموسوعة الأمريكية مج 12 صـ 164.

(35) الموسوعة الأمريكية المرجع السابق . نفس الصفحة .

(36) راجع جيل كبيل –يوم الله – الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث ، ترجمة نصير مروة ط(1) 1992م دار قرطبة للنشر والتوثيق من صـ 121 – 152 .

(37) هالسيل جريس ، النبوءة و السياسة ، ترجمة محمد السماك ، ط (4) ، 1998م ، دار الشروق القاهرة صــ 55.

(38) تقوم هذه النظرية على نبوءة قديمة بقيام معركة كبرى في (هرمجدون) بين اليهود والعرب وبعد هذه المعركة سيعود المسيح ـ كما يزعمون ـ ويقيم مملكة السلام في القدس مدة ألف عام ويعمل المؤمنون بهذه النظرية على التعجيل بقيام هذه المعركة ودعم إسرائيل أساس لتعجيل بها.راجع هاليسل، المرجع السابق .

(39) من الرؤساء الذين يعتقدون هذا الفكر " نكسون، كارتر ، ريجن ، بوش الأب ،وبوش الابن الذي يعتبر أكثرهم تشدداً حيث صرح بعد 11 سبتمبر أن الحرب الصليبية قد بدأت ثم اعتذر أنها زلت لسان لكن الواقع اليوم يصدق التصريح ويكذب الاعتذار.

(40) بتدبير من المخابرات الأمريكية (CIA) قامت محاولة انقلابية ضد الرئيس الفنزويلي المنتخب هوجو شافيز . من كتاب الإمبراطورية الأمريكية ، ط(1) 2002 م مكتبة الشروق القاهرة صــ423 –429.

(41) جبر سهير ، الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية، راجع المرجع السابق .

(42) هالسيل جريس ، النبوءة و السياسة ، ترجمة محمد السماك ، صــ56.

(43) راجع د. النجار : عامر ، الخوارج : صـــ136 .

(44) راجع ميثاق العمل الإسلامي ، ناجح إبراهيم وآخرون ، إشراف د. عمر عبدالرحمن ،ط بدون ،ت بدون ، مكتبة ابن كثير القاهرة ،صـــ114.

(45) عمر عبد الرحمن من مواليد 1938م أصيب بالعمى في العاشرة من عمرة . حفظ القرآن بطريقة بريل وهو في الحادي عشر، حصل على الدكتورة في التفسير من الأزهر اعتقل عام 1968م لوصفه عبد الناصر بالفرعون ،واعتقل أيام السادات لمعارضته اتفاقية كامب ثم اعتقل في عام 1981 بتهم التخطيط لقتل السادات وبرأته المحكمة للمزيد راجع عادل حموده ، قنابل مصاحف ، ط (1) 1985م سينا للنشر – القاهرة في صـ199 -213

(46) راجع النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين ، الباب السابع ، صـــ 95 .

(47) الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر .

(48) المعجم الوجيز ، المركز العربي للثقافة والعلوم ط (بدون) ، بيروت .

(49) المنجد في اللغة والإعلام ، دار الشرق ط 28 ، 1986 ، بيروت .

(50) الكواكبي: عبدالرحمن . طبائع الاستبداد ط (5) 2003 دار الشرق ببيروت صـ 23 .

(51) سورة : الأحزاب : 72.

(52) سورة : النازعات (24) ..

(53) سورة : غافر: (29) .

(54) بلقزيز : عبدالإله ، ما تبقى من الأمم المتحدة في العدوان على العراق والمجتمع الدولي ، حول الإستبداد العالمي والتسلط الغربي ط1999م أفريقيا للنشر -بيروت صـــ86.

(55) صرحت بهذا المعنى وزيرة الخارجية الأمريكية . في مقابله مع قناة العربية نشرة الساعة التاسعة مساءً بتوقيت مكة المكرمة . الأربعاء19/7/2006م . كما تناقلت وكالات الأنباء في نفس اليوم الحديث عن اتفاق أمريكي إسرائيلي بمنح إسرائيل مهلة أسبوع لإنهاء عملياتها العسكرية في لبنان فقد ارتكبت إسرائيل مجزرة ضد الأطفال في قانا 29/ 7/ 2006م وقد سبق لها أيضاً أن ارتكبت مجزرة مماثلة في قانا وذلك في 18/ 4/ 1996م

(56) الجات : اتفاقية عامة متعلقة بالتعرفة الجمركية والتجارة عام 1947م ، تستهدف التخفيف من قيود التجارة الدولية ، انظر الموسوعة العربية الميسرة ط بدون ، 1987م. دار نهضة لبنان ببيروت . مج (1) صـــ590.

(57) راجع برهان غليون ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ط(1) 1999م ، دار الفكر دمشق صـ140 – 148.

(58) نجحت حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006م . فحاصرت أمريكا وإسرائيل وبعض الدول العربية الفلسطينيين ومنعت تحويل الأموال إليهم عقاباً على خيارهم الديمقراطي. ومن قبل في الجزائر عند فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية مما يجعلنا نجزم أن مثل هذه الشعارات مجرد ذرائع للتدخلات الأمريكية في المنطقة .

(59) مثل مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة عام 5/ 2/ 1994م والذي تضمن وثيقة تخالف كل القيم الأخلاقية والدينية الأمر الذي جعل القيادات الدينية المسيحية والإسلامية ترفض هذه الوثيقة. راجع قضايا دولية عدد (295) في 28/ 2/ 1994م وكذا مؤتمر المرأة في بكين الذي عقد في 5/ 9/ 1995م

(60) اقتبسنا هذا المصطلح من فكر مالك بن بني الذي أوجد مصطلح القابلية للاستعمار.

(61) شاش : طاهر العلاقات الأمريكية مع العالم العربي وإسرائيل ، من كتاب الأمبراطورية الأمريكية ، مرجع سابق ، صـــ318.

(62) تقرير منظمة العفو الدولية الصادر في مايو 2005م .

(63) لا تزال الولايات المتحدة في أجهزتها الإعلامية تروج لمقولة أنها جاءت إلى العراق بهدف تحريره من نظام صدام .

(64) تطلق أمريكا وإسرائيل على المقاومين لا حتلالها وصف " الإرهابيين ".

(65) صرح الرئيس بوش الابن بأن شارون رجل سلام وذلك لأنه انسحب من غزة مع العلم أن شارون المسئول الأول عن مجزرصبرا وشتيلا، وغيرها من جرائم الحرب .

(66) نهاية التاريخ : نظرية خلاصتها (أن التاريخ بكل ما يحويه من تراكيب وصيرورة سيظل إلى نهايته في لحظة ما فيصبح سكونياً تماماً خالياً من التدافع والصراع وقد ظهرت هذه النظريات في كتاب نهاية التاريخ لـ(فوكويلما) . حيث يرى أن الديمقراطية الليبرالية نموذج صالح للحكم بعد أن ألحقت الهزيمة بالنظريات الأخرى "انظر فرنسس فوكويلما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ ط(1) 1993م دار العلوم العربية بيروت – لبنان.

(67) مثل إذاعة سوا وتلفزيون الحرة، وغيرها من المحطات والمطبوعات.

(68) تقرير مكتب المحاسبة الأمريكية – بعنوان الدبلوماسية الأمريكية العامة – نشر مكتب المحاسبة الأمريكية – واشنطن – صدر في أوائل مايو 2006م

(69) راجع تحقيق مجلة النيوزويك الأمريكية، حول مجزرة حديثة التي ارتكبها الجيش الأمريكي لتغطية لجريمة اغتصاب فتاه عراقية، الطبعة العربية عدد 313 في 13/ 6/ 2006م .

(70) فتحت إيطاليا تحقيقاً بشأن اختطاف أمام مسجد من ميلانو بواسطة (CIA) وبتواطؤ ضابط من المخابرات الإيطالية جريدة 14 أكتوبر اليمنية الصادره في 21/ 7/ 2006م.

(71) لا تزال بعض البلدان الإسلامية تحكم بقوانين الطوارئ منذ عقود، ففي سوريا منذ عام 1970م و في مصر منذ وفاة الرئيس السادات 1980م وباكستان منذ انقلاب مشرف ويتم الحكم بهذه القوانين دون إعلان في بعض البلدان كتونس وغيرها.

(72) التقرير الاقتصادي العربي الموحد الصادر عن صندوق النقد العربي (أبو ظبي) سبتمبر 2005م ص 160

(73) تقرير البنك الدولي لعام 2006م الصادر في مايو 2006م.

(74) تقرير البنك الدولي مرجع سابق.

(75) أصدرت الدولة قراراً لتنظيم الأزهر عام 1961م جرده من كافة مظاهر استقلاله الإداري والمالي وحولت شيخه وعلمائه إلى موظفين حكوميين بالتعيين بعد أن كان ينتخب شيخ الأزهر من قبل علمائه.

(76) ابن عبد البر، أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي جامع بيان العلم وفضلة، ط بدون، مجـ 1، دار الكتب العلمية بيروت، صـ13 وأخرج الخطيب أن هارون الرشيد قال للأمام مالك، راجع حاشية ابن عابدين مجـ (1) صـ47،46 .